Route Educational & Social Science Journal

Volume 5(14),December 2018

Artical History

Received/ Geliş	Accepted/ Kabul	Available Online/yayınlanma
29.11.2018	18.12.2018	20.12.2018

المسكن التقليدي في المشهد الحضري بالسودان

قراءة في الجغرافيا الثقافية

The traditional house in the urban scene in Sudan

Reading in cultural geography

د. عائشة ابراهيم محمد عبد الله

Aisha Ibrahim Mohamed Abdalla

استاذ مساعد /قسم الجغرافيا /جامعة النيلين

المستخلص:

تهدف الدراسة الى قراءة المسكن التقليدي في المشهد الحضري في السودان جغرافيا وكيف افرزت الثقافة النابعة من الدين الاسلامي والعادات والتقاليد نمطا تقليديا من المساكن قليلا ما يعتري صورته الذهنية البسيطة المتوارثة التغيير لتمثل امتداد وتعبيرا للثقافة والحضارة الشعبية فتضفي شخصية فريدة للمشهد ،حتى اضحت اكثرالرموزرسوخا في ذاكرة الفرد وبيئته وبرزذلك في نمط المسكن وعلاقته بالبيئة والانتشار الثقافي و تكامله مع اوجه الحضارة الاخرى .واشارت الدراسة الى مدى تأثر المسكن التقليدي بالمتغيرات والمستجدات الثقافية والاجتماعية العصرية في ظل النمو والتطورالحضري المتسارع وكيف ترسخ الهوية الثقافية العمرانية في المشهد الحضري وتوصلت الدراسة الى ان المسكن التقليدي ليس منشاة هندسية مستقلة بل خلية عمرانية نابعة من المجتمع لممارسات روتينية تعطي معنى للحياة اليومية تنعكس في صورته الذهنية حسيا وماديا وفي المشهد الحضري فضلاعن غياب طرازمميز للمسكن حيث لم يتبقى من ملامحه التقليدية الا خطته ذات الطابق الارضي التي تحوي جناحين رجالي واخر نسائي .اوصت الدراسة بتأكيد اهمية العناصر المعمارية التقليدية حتى لا تتلاشى الهوية

الثقافية للعمران في المشهد الحضري وضرورة المشاركة المجتمعية في صياغته والاستفادة من تناغمه مع البيئة الثقافية والطبيعية في تحقيق التنمية الحضرية المستدامة.

- **كلمات مفتاحية** : المسكن التقليدي، المشهد الحضري ، الصورة الذهنية.

Abstract

The study pertains to the form and function of the traditional house in the urban scene in Sudan from a geographic perspective . This traditional pattern of house form has bean built upon cultural background of Islamic Religion beside local customs and traditions. Moreover, such house form has, in consequence, become a reflection of the popular societal culture and perception therefore, this heritage has succeeded to create and maintain, in the urban scene, a unique and steady symbol in the memory, of the inhabitants and their built environment. such situation was a response to the diffusion, The traditional culture and comprehensive linkages with other aspects of culture addition the traditional house has become a reflection to the routine methods of daily life. Nevertheless, socio-cultural and economic house without specific pattern or peculiar changes left those traditional chacteristics , except that simple plan of ground floor, and seclusion between men and women. therefore this study has recommended that architectural aspects of the traditional house should be preserved, along with community participation in planning process, in order to keep harmony between this pattern of house and the cultural and physical environment, realize sustainable urban development.

مدخل :

ان موقع السودان الجغرافي واتساع رقعته حتم عليه مجاورة العديد من الدول العربية والافريقية التي اثرت بشكل واضح في شرائح المجتمع المتاخمة للحدود وبالتالي تباين المجتمع من حيث الثقافة والعادات والتقاليد والاعراف نتيجة لاختلاف القبائل واللغات واللهجات والمعتقدات. ورغم ذلك التباين الا انه انصهر في بوتقة واحدة شكلت طابع خاص ذات صفات مشتركة لكل المجتمع ميزته بين الشعوب بعمق المعتقد الديني والارتباط الاسري الوثيق ذوالاسرة الممتدة والتكافل الاجتماعي و قوة الانتماء للمجتمع في المناسبات الاجتماعية وغيرها مما انعكس على المسكن التقليدي الذي يعد من اهم العناصر المرئية في سياق البيئة الحضرية السودانية التي تتحرك خلاله المشاهد اليومية الروتينية لتتكامل عناصرالبيئة الثقافية والاجتماعية والعمرانية والاقتصادية فينعكس نمط حياة السكان في المشهد الحضري بمكوناته الفيزيائية والحضارية ليحقق الاثراء البصري الثقافي، لانه كالرق الممسوح الذي يمثل مجموع كل المحو والكتابات عبر المكان والزمان والذي يفسرمن خلال علاقاته الزمانية والفضائية لانه عملية مستمرة من التطورو الانحلال والاستبدال .بذلك تكتسب المشاهداهمية كبيرة لتعطي الاشكال العمرانية التعبير والمعنى .وتعد المساكن التقليدية اكثر الرموز رسوخا واهمية في ذاكرة الانسان وملامسة حواسه من هنا اكتسب موضوع المسكن التقليدي في المشهد الحضري السوداني اهمية كبيرة ، وبرزت الحاجة الماسة لدراستة في ظل النمو والتطور الحضري في السودان الذي زاد بمعدلات عالية خلال الفترة من 1956م-2016م حيث ارتفعت نسبة التحضر من 8% الى 28.3% عام 2016م نتيجة لعدة عوامل انعكست اثاره في كل المدن مما يستدعي تسليط الضوء على مسالة المسكن عامة والتقليدي خاصة الذي افرزه هذا التسارع للوقوف على مكامن التغير ومحاولة تحديد الاتجاه الصحيح لترسيخ فكرة الهوية للمشهد والمسكن التقليدي المميز للمكان بطرح بعض الرؤى ووجهات النظر لتطويرها .لذا جاءت محاور الدراسة مستعرضة مفهومي المسكن التقليدي والمشهد الحضري ثم قراءة جغرافية للمسكن التقليدي في المشهد الحضري السوداني وتأكيد ذلك بدراسة نموذج تطبيقي لمدى تأثر المسكن التقليدي بالمتغيرات الثقافية والاجتماعية العصرية في المدن واختتمت بالاستنتاجات والرؤى المقترحة .

مشكلة الدراسة :

افرزت الثقافة الشعبية السودانية النابعة عن الدين الاسلامي والعادات والتقاليد و البيئة نمطا شعبيا تقليديا من المسكن ذو بصمة واضحة في المشهد الحضري السوداني بتصميمه الذي لعب دورا مهما في الحياة الاجتماعية والثقافية ،

كما شهد المسكن التقليدي في المدينة السودانية خلال تاريخه الطويل تغيرا في ملامحة و تصميمه وموقعه واستبدالها بأخرى مغايرة اوبعيدة عن ثقافة المجتمع السوداني حسياوماديا لذا تتمحور مشكلة البحث في مظاهر التغيير الذي طراعلى المسكن التقليدي خلال المكان والزمان وتحليل اسباب هذا التغيير في ظل المستجدات الثقافية والاجتماعية العصرية التي قدلاتتفق والبيئية المحلية مما ينعكس على المشهد الحضري

اهمية الدراسة :

- تستوحى اهمية دراسة المسكن التقليدي وخصائصه الاجتماعية والثقافية من دور العمران التقليدي في احتواء الحياة الاسرية والاجتماعية والمحافظة على خصوصيتها .
- شهدت التغيرات التي طرات على المسكن التقليدي في المدن قفزه نوعيةحسيا وماديا اثرت في المشهد الحضري
- اضافة بعدا علميا جديدا في مجال الابحاث الجغرافية المتعلقة بالثقافة الحضرية والعمران

اهداف الدراسة:

- التعرف على مفهومي المسكن التقليدي والمشهد الحضري .
- قراءة جغرافية للمسكن التقليدي في البيئة الحضرية مكانيا وثقافيا وبيئيا
- الوقوف على مدى تكامل المسكن التقليدي مع اوجه الحضارة الاخرى من متغيرات ومستجدات ثقافية و اجتماعية في المشهد الحضري من خلال نموذج تطبيقي
- امكانية طرح بعض الرؤى والمقترحات للحفاظ على المسكن التقليدي بصورة ترسخ الهوية الثقافية العمرانية في المشهد الحضري السوداني

اسئلة الدراسة:

- ما المسكن التقليدي؟ ومالمشهد الحضري ؟

- ما الانماط المكانية للمسكن التقليدي في المدن السودانية؟
- مالابعاد البيئية والثقافية والحضارية للمسكن التقليدي ؟ وماعلاقة المسكن بالانتشار الثقافي الحضاري ؟
- كيف يتكامل المسكن التقليدي مع المتغيرات والمستجدات الثقافية والحضارية في المشهد الحضري؟
- ماالمقترحات والرؤى للحفاظ على الصورة الذهنية للمسكن التقليدي في المشهد الحضري

منهج الدراسة :

تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي في دراسة المسكن التقليدي ومدى تأثره بالبيئة الحسية والمادية على المشهد الحضري لاستخلاص مفاهيم ومفردات البحث كما استخدام المنهج التاريخي والسلوكي لرصد تطور المسكن التقليدي عبر الزمن لابراز اوجه التفاعل بين خصائصه المكانية والسلوك الانساني ثم تم اعتماد المنهج الموضوعي لقراءة المسكن التقليدي في المشهد الحضري من خلال أنماطه المكانية في المدن وعلاقتهبالبيئية والانتشار الثقافي ومدى تكامله مع اوجه الحضارة الاخرى وتحقيقا لذلك تم جمع المعلومات والبيانات من مصادرها الثانوية من كتب وتقاريرذات الصلة فضلا عن استطلاع بعض السكان عن التغيرات والمستجدات التي اعترت المسكن التقليدي ومدى تأثيرها في المشهد من خلال نموذج تطبيقي

1) مفهوم المسكن التقليدي:

المسكن التقليدي هو المسكن الشعبي اوالمحلي واكثر المعالم المرئية وضوحا في المشهد الحضري يعتمد على صورة ذهنية قليلا مايعتريها التغيير من جيل لأخرو يبنى بواسطة العمالة الجماعية في المجتمع ليمثل امتدادا لثقافة الشعب[1] ونتج المسكن التقليدي في المدينة السودانية عن تضافرعدة عوامل ثقافية حضارية و طبيعة ادت الى اخذ طابعه الحالي الذي يختلف كثير عن مساكن مدن العالم الاخرى [2] ويتكون من طابق ارضي ويتميز بخطه ذات

[1] – احمد،حسن عبدالعزيز (2005) : مدخل الى الجغرافيا الحضارية، مكتبة الرشد، الرياض ،المملكة العربية السعودية

[2] – العبادي ،عبدالله حامد العبادي(1974) : تخطيط المدن السودانية

جناحين حريمي و اخررجالي اوللضيافة ومطبخ ومرحاض مع وجود فناء واسع (حوش) للتهوية والاحتفالات الصغيرة، وغالباما يبنى بمواد ثابتة ومتاحة في محيط المدينة.

2) مفهوم المشهد الحضري :

المشهد الحضري يعني رؤية متكاملة لجملة التأثيرات البصرية والحسية لمكونات المدينة وتضممدخلات المشهد الحضري المكونات الفضائية والفيزيائية والسلوكيةوالعلاقة بينهم لتشمل المدينة ككل،وبذلك هو كل مايراه الانسان في المدينة وتدركه احاسيسه ويتفاعل معه في البيئة الحضرية.[3]اذن هوالصورة الحية التي ترسمها المدينة من تكويناتها ومعالمها الفزيائية التي تعكس تراثها الناتج من تطورها الطبيعي والثقافي والعقائدي والتقني عبرالتاريخ لإعطاء شخصية وهوية المكان ويعتمد المشهد على الاحساس بالمكان والوحدة [4] ويعبر المشهد الحضري عن العلاقات التي تجمع الابنية معا لتحقيق مشهد واحد ذي صفات معينة [5]بمعنى تحقق الترابط المفصلي بين القديم والحديث في المشهدعلى مستوى الكل اوالجزء[6]مع حماية كل الاوجه الحضرية المميزة التي تجسد شخصية المنطقة التراثية [7]والمشهد في الجغرافيا الثقافية هواثار وطابع الثقافات المختلفة على الارض ممايخلق هيئة ارضية مميزة وفريدة كما يعرفه ساور "بانه الاشكال التي انطبعت على المظهر الطبيعي من خلال انشطة الانسان[8].وبذلك هواندماج الجانب المادي مع الجانب غيرالمادي الذي يعطي المدينة طابعها. ويعدالمشهد سجلا للتغييرومع تغيرالقيم الثقافية يكون نظاما ذا دلالة يظهر القيم التي من خلالها ينظم مجتمع ما .بهذا المعنى يمكن قراءة المشاهد كنصوص توضح معتقدات الشعوب وثقافتها كما يمكن اعتبار شكل المشاهد تعبيراعن الأيدولوجيات الاجتماعية التي يتم تخليدها وتدعيمها من خلال المشهد[9]

[3]- المبارك ، عامر كاظم (1999): التماسك والتفكك في بيئة المشهد الحضري للمدينة المعاصرة، ماجستير ،مركز التخطيط الحضري والاقليمي بغداد

[4] -Kinoshita,Y,2004 "Atownscape evaluation system based on Kansei and colour harmony models Journal Systems, Man and Cybernetics "2004 IEEE Inrernatiinal Conference,:2004 Volume:1.

[5]-خربوطلي، صلاح الدين (2004): االسياحة المستدامة، سلسلة الرضا للمعلومات 233 دمشق

[6]- الخفاجي ،سرى فوزي(2007): العلاقات الشكلية بغداد للمشهد الحضري في مدينة بغداد، دراسة تحليلية للمجمعات السكانية، رسالة ماجستير قسم الهندسة المعمارية الجامعة التكنولوجية بغداد.

[7]-الياس،ايثار جوزيف(1989):اسس التجديد الحضري للنسيج التراثي ،اثر المشهد الحضري في تجديدالنسيج التراثي، ماجستير قسم الهندسة المعمارية الجامعة التكنولوجية

[8]-مرجع سابق (1)

[9]- مايك، كرانغ (2005) : الجغرافيا الثقافية -اهمية الجغرافيا الثقافيةفي ، تفسير الظواهر الانسانية- ترجمةسعيد

- **قراءة جغرافية للمسكن التقليدي في المشهد الحضري:**

بما ان المشهد الحضري هوسجلا ذودلالة يظهرالقيم الثقافية التي تنظم المجتمع يمكن قراءة المسكن التقليدي كنص يوضح معتقدات وثقافةالشعب باعتباره يعبرعنالأيدولوجيات الاجتماعية والثقافية التي يتم تخليدها وتدعيمها من خلال الجانب المادي للمشهد ويتم ذلك بالتعرف على التباين المكاني لأنماط المسكن التقليدي في المدن وعلاقته بالبيئة والانتشار الثقافي الحضاري ثم كيف يتكامل المسكن مع اوجه الحياة الحضارية الاخرى في المدينة والاستشهاد بنموذج تطبيقي

3-1-التباين المكاني لأنماط المسكن التقليدي في المدن :

يتباين المسكن التقليدي بصورة عامة بتباين مواقع المدن السودانية التي تتوزع جغرافيا و الموارد المائية على محورين الاول طولي نيلي(شمال – جنوب) والاخرعرضي (شرق –غرب)في نطاق السافنا الفقيرة ([10]) وتختلف المدن من حيث الحجم والكثافة على طول النيل ومواردالمياهالفصلية والجوفية .وتتمثل منطقة الثقل العمراني للمدن عند تقاطع المحور العرضي مع المحور النيلي والسكة حديد وبذلك يتحددالاطارالعام لتوزيع المدن المكاني بنهر النيل وروافده والجوانب الثقافية الحضارية والاقتصادية منذ الاستعمار فنشأة عواصم المحليات ومدن القوافل والتجارة الشكل (1).عليه جاء نمط المسكن التقليدي متوافقا مع كل محور وبيئته الثقافية الحضارية والاقتصاديةوالطبيعية من حيث النمط ومواد البناء فكان نمط المباني الطينية في المدن النيلية مرتبط بالنشاط الزراعي المروي والتجارة، اما في مدن السافنا نجد نمطين من المسكن الاول يأخذ اشكال مختلفة ويبنى من الشعر والسعف والبروش وترتبط بالنشاط الرعوي اما النمط الثاني بأشكاله المتنوعة (القطية والراكوبة) يبنى من القش وينتشر في مناطق الزراعة المطيرة [(11)]مماسبق يمكن القول ان هذه الانماط متشابهة ومنتشرة في كل انحاء السودان وتعكس التراث المشترك وكذلك عادات وتقاليد البناءوالفنون والمهارات الحرفية التقليدية المشتركة بين السودانيين ممايدلل على وجود وحده ثقافية برغم التنوع والتعدد في السودان.

[10]- النور ، عبد الحميد بله واخرون(2017) : تطور المدن السودانية :مستوي التحضر في السودان وانعكاساته الاقتصادية والاجتماعية –(1955-2016 مجلة السودان الجغرافيةالعدد 1- يناير2017 كلية علوم الجغرافيا والبيئية جامعة الخرطوم

[11]- عوض الله،اسعد عبدالرحمن ،2012 : نمط البيت السوداني في غرب وشرق

الشكل (1) التوزيع الجغرافي للمدن في السودان

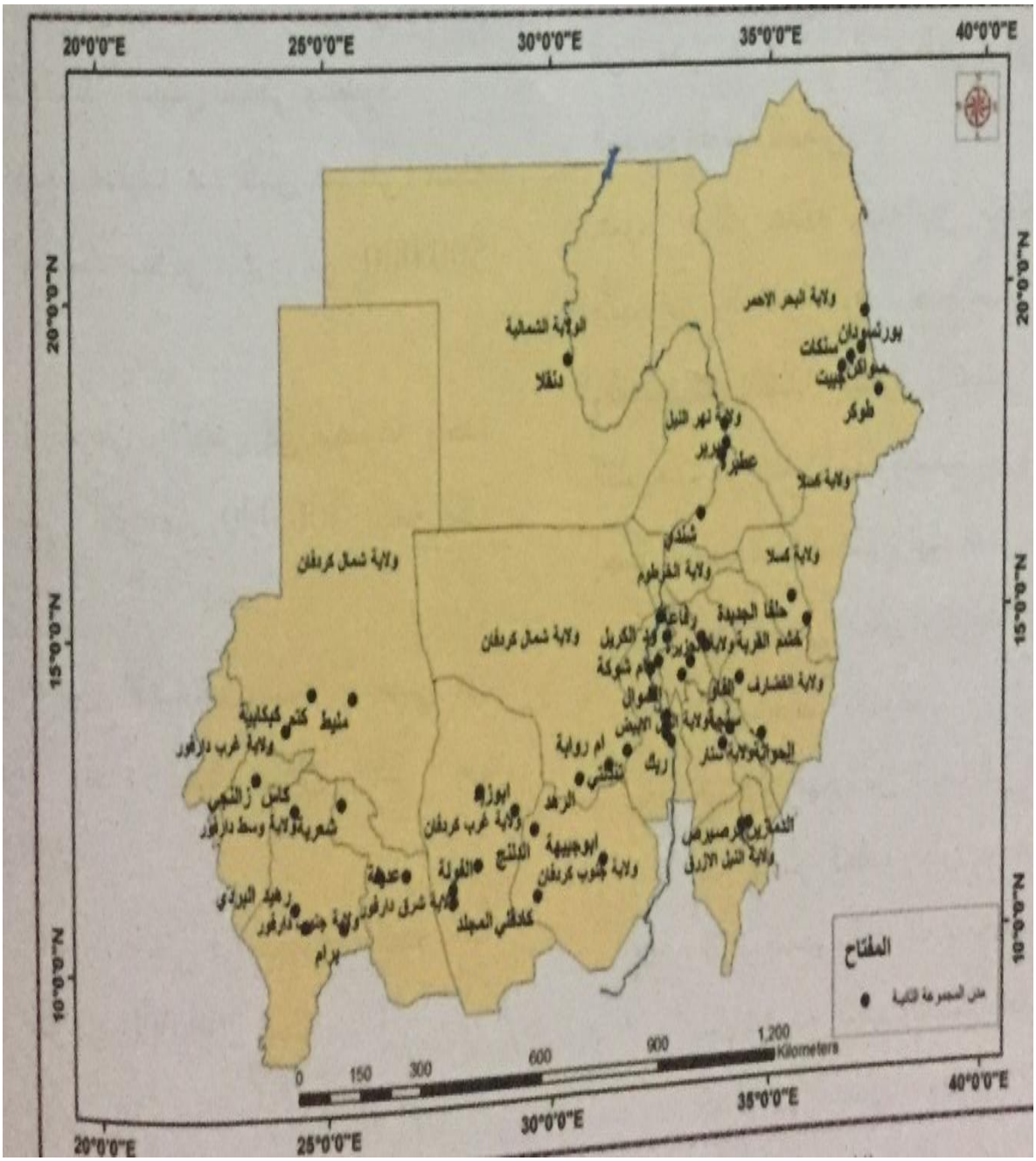

المصدر: (10)

في جانب اخر يتباين المسكن التقليدي مكانيا داخل المدن لأسباب تاريخية وتخطيطية، تاريخيا في فترة الحكم الانجليزي (1898-1956م) كان بالمدن نمطين من المساكن نمط اوربي على شواطئ النيل مبني بمواد ثابتة وذو مساحة خضراء واسعة والاخر نمط تقليدي معظمه من الطين والقش تطور الاخير بعد الحرب العالمية الثانية فظهرت المباني الثابتة والخدمات واستمر التطورخاصة في المدن الكبرى حتى الاستقلال(1956)وقل التمييز بين النمطين في المدينة لا دخال مواد البناء الحديثة نتيجة للانتعاش الاقتصادي [12] وبمرورالزمن انزاحت تلك المساكن التقليدية غير الثابتة الى الخارج لتفسح المجال للمباني الحديثة في معظم المدن لتتركز في اطرافها المتاخمة للريف .اما من الناحية التخطيطية نجدمعظم المدن السودانية قامت تلقائيا دون خطط موجهه ولم تشهد خطط شاملة باستثناء الخرطوم والمدن الكبرى [13] وغالبا ذات تخطيط شبكي قسمت الاحياءالى درجات سكنية متفاوتة وارتبط نمط المسكن التقليدي بمباني الدرجة الثالثة التي تختلف عن الدرجتين الاولى والثانية في موقعها وخطتها ومواد بنائها وخدماتها وتقع بعيدا عن مراكز المدن .وحاليا اصبح معظمها في وسط المدن نتيجة للزيادة السكانية عن الهجرة المستمرة للمدن حيث بلغ عدد سكان المدن 11.1مليون نسمة يمثلون 28.%من مجموع السكان الكلي للسودان البالغ 33.975.593نسمة (اسقاطات السكان للعام 2016م) لتنزاح في تلك الاحياء معظم المساكن التقليدية المطلة على الطرق الرئيسة مفسحة المجال للمباني الحديثة ولتنحصر في المناطق الداخلية فانعكس على عدم انسجام المشهد الحضري، كذلك تنتشرالمساكن التقليدية في مناطق اعادة التخطيط في المدن سواءاحياء قديمة اوغير قانونية كما ظهرنمط مكانياخر في اطراف المدن عرف بمخططات المسكن الشعبي والاقتصادي لمحدودي الدخل في العاصمة وبعض المدن الكبرى.

3-2- المسكن التقليدي والبيئية الثقافية الحضارية :

يعكس نمط المسكن ومادة بنائه مدى كفاح الفرد السوداني ومجهوده في الحصول على المسكن مبرزا وجهة نظره في تعديل البيئة بما يتوافق مع حاجاته ليمثل دليلا قيما على ثقافته واصل حضارته [14] وينشا الافرادعلى تقليد احترام البيئة

[12]- مرجع سابق (2)

[13]- محمد،عائشة ابراهيم (2017) : انماط الكثافة العمرانية الراسية في خارطة الخرطوم الهيكلي (2008-2033وعلاقتها بالتحولات الاقتصادية والاجتماعية في مدينة الخرطوم –مجلة السودان الجغرافيةالعدد 1- يناير2017-كلية علو الجغرافيا والبيئية جامعة الخرطوم

[14]- مرجع سابق (1)

المحيطة ويعتمد بقاءهم بالفطرعلى علاقة متوازنة مع الطبيعة [15]فانعكس ذلك في تصميم المسكن ومواد بنائه ليتؤاموينا غم مع البيئة معبرا ومجسدا خصائص الحضارة الشعبية كما ان البيئةالثقافية شكلت لونية المجتمع السوداني المتحد ذو الطابع المشترك المميز بالدين اللهجة والتمازج الاجتماعي فيالعاداتوالتقاليد لذا نلمح في المسكن كل ماهو تقليدي ليضفي بشكل مرئي خصائص فريدة لكل مدينة. كما ان لصورة الذهنية لطرزالمساكن التقليدي البسيطةالمتوارثةالنابعةمن البيئة الحسية نتجت عن تجربة قرون من المحاولة والخطأ لتعلم البنائين كيف يبنون المباني التي تزودهم بالراحة والحماية[16] لتظل متوارثه ومتعارف عليها رغم التغيرات العصرية التي طرأت علي المساكن.

3– 3 –المسكن التقليدي والانتشار الثقافي الحضاري:

تأثرشكل وطابع المسكن التقليدي بانتشارالثقافات والحضارات العربية والافريقية والاوربية في السودان حيث نجد المساكن في شمال السودان تشبه مثيلاتها في بعض المدن العربية كمانلمح اثر الحضارات الافريقية في مساكن المدن الجنوبية والغربية، و كذلك الاوربية في بعض مساكن المدن الكبرى[17] لذلك نجد لكل مدينة طابعها الخاص، كما لعب الانتشار الحضاري التنقلي المتمثل في الهجرات الداخلية (الريفية) والخارجية (دول الجوار) الى المدن دورابارزا في نقل ثقافات البناء المختلفة ووضع بصماتهاعلى المسكن التقليدي بالإضافة والحذف مما انعكس على المشهد الحضري في المدن السودانية.

3–4– التكامل الحضاري للمسكن التقليدي:

تكامل المسكن التقليدي مع اوجه الحياة الاخرى ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا وتقنيا عبرالتاريخ من خلال الخصائص الثقافية والحضارية والاجتماعية للشعب السوداني المرتبطة بعمق المعتقد الديني وقوة الانتماء النابع من العادات والتقاليد في فضلاعن الاستضافة والنفير وغيرها من العادات الاجتماعيةالتي لعبت دورا مؤثرافي تفضيل معظم الابناءللسكن في المسكن الاصلي حتى بعد الزواج وذلك بفصل جزء من المسكن مما يؤكد الارتباط الاسري الوثيق الذي عرف بالأسرة الممتدة[18] .فانعكس هذاعلى الخطة ومادةالبناءالتي تصنف بها المساكن التقليديةعن الحديثةفجاءت خطة المبنى التقليدي

[15] - BANNAGA ,SHARAF ELDIN IBRAHIM .(eds.1994):''Unauthorised and Squatter Settlemen in Khartoum'',History, Magnitude and Treatment

[16] – مرجع سابق (1)

[17] – مرجع سابق (2)

[18] – عوض,زحل الطيب,2008م:"دراسة العوامل الاجتماعية والثقافية التي تشكل تركيبة الاسرة" المؤتمر العلمي الثالث للعمارة – المساكن الحضرية في السودان , الخرطوم

مكونه من جزئيين احدهما للعائلة والاخرى للضيوف ويضم عدد من الغرف ومرحاض ومطبخ وفناء واسع (الحوش) محاط بسورعالي يستخدم للنوم في الصيف والمناسبات وبه اكثر من مدخل يطل على الشارع ،ويشغل المبني مساحة صغيرة بالنسبة لمساحة المسكن الكبيرة . ومن جهة اخرى جاءت مادة وتقنية بنائية متوافقة مع البيئة الطبيعية حيث تستخدم المواد المحلية المتاحة في ظهير المدن بشكل لايتعارض مع كلفته التشغيلية وتجنب المشكلات البيئية [19] مثل الطين والطوب الاخضر والطوب الاحمر الاكثر انتشارا والحجارة والاخشاب القش وغيرها ،كما يتم سقف المسكن بالمواد المحلية الرخيصة اضافة للخشب والزنك [20] وانعكس تكامل الخصائص الثقافية والحضارية للسكان على مستويات السكن الثلاثة ابتدأ من المستوى الاول المتمثل في قطعة الارض المبنية والمأهولةبأسرة واحدة اوعدة اسر ذات علاقة اجتماعية (المنزل)وتمارس فيه الاسرة حياتها . ويعرف المستوى الثاني بالجيرة اوبمجموعة المساكن والاسر المتجاورة مع بعضها بعلاقات متشابهة اجتماعيا وثقافيا و وهو شكل متطور لسكن الاسرة الممتدة الذي ساد في السودان قديما الذي ساعد على تداخل الاسرة مع بعضها في المناسبات و المصاهرة والتكافل واضفاء اللونية ذات القاسم المشترك الواحد في المجتمع السوداني ،ثم يأتي مستوى المجاورة الكبيرة اوالحي الذي يضم مجموعة من المساكن المتجاورة التي تشغل حيزا مكاني جغرافي له سمات متشابهة في اطاره العام من حيث اسلوب الحياة من عادات وتقاليد والخدمات المشتركة من صحة وتعليم وغيرها وهذا المستوى المميز يمثل المجتمع .وبما ان المسكن يتكامل مع الجوانب الثقافية والحضارية والتقنية المتغيرة في ظل العولمة ،يجدر بنا التعرف على مدي تأثرالمسكن التقليدي وكيف يتكامل معها وما اثر ذلك علي المشهد الحضري .وصولا لذلك تم استطلاع بعض سكان الخرطوم لقراءة المسكن التقليدي في مشهدها وتم اختيارها كنموذج تطبيقي لان كل شرائح المجتمع السوداني لها وجود محسوس في عاصمة البلاد كما انها تمثل بوتقة انصهارلكافة المجتمع مع الاخذ في الاعتبار ان لكل مدينة طابع خاص في مشهدها الحضري رغم التشابه في معظم المظاهر الحضرية..

تقع العاصمةالخرطوم على النيل عند خط طول 32 32درجة شرقا وخط عرض 36 15درجة [21] حيث ارتبطت مدنها الثلاث(الخرطوم ،امدرمان،بحري) مع بعضها البعض طبيعيا وتاريخياوعمرانيا لتمثل ملتقى حضارات وثقافات وتقاليد المجتمع السوداني حيث بلغ عدد سكان مدن العاصمة 4272728نسمةبنسبة 81% من سكان

[19]- ارناؤوط, ,رائد (2016):"قراءة نقديةفي العمارة العربية المعاصرة "مجلة الثقافة الشعبية علمية فصلية متخصصة العدد 27 البحرين

[20]- مرجع سابق (2)

[21]- Abu sin ,M.E. and David, H.r.j.(eds.1991): "The future of Sudan's capital Region **a study in Development and change**, **kup**.," Khartoum

الولايةالبالغ 5274321نسمةبمتوسط كثافة سكانية بلغت 1002 نسمة /كلم2وعدد الاسر بلغ 871142 اسرة 80%منها في الحضر حجم الاسرة 6 افراد (تعداد ،2008م) .وشكلت خصائص السكان الحضارية لونية المجتمع السوداني اذو الطابع المشترك المميزفي اللهجة والتداخل الاجتماعي فضلاعن التمازج في العادات والتقاليد والمأكل والملبس وطريقةالسكن الذي تميزبوجود جناح حريمي واخر للرجال والضيافة مع وجود فناء(حوش) للتهوية والاحتفالات في ظل شرعية تصميم المسكن ، هذا الوضع الديموغرافي والحضاري انعكس بوضوح على الاستخدام السكني في الخرطوم الذي يمثل 28%من استخدام الارض والذي تغول على الاستخدام الزراعي([22]) وجدير بالذكر ان معظم المساكن من نوع الطابق الارضي حيث بلغت نسبتها 76.9%من اجمالي المساكن في العاصمة الجدول،(1)الشكل (2)

الجدول (1) انماط المساكن في الخرطوم

نمط المسكن	عددالمساكن	النسبة المئوية%
طابق ارضي	606465	76.9
طابق الى طابقين	179679	16.1
اكثرمن طابق	79499	7
المجموع	865643	100

المصدر:اعداد الباحثة بناء على بيانات ناصفة للاستشارات الهندسية ،2012

[22]- ناصفة للاستشارات الهندسية (2012)المخططات الإستراتيجية المحلية،محليات ولاية الخرطوم ، الخرطوم

الشكل (2) انماط استخدام الارض وارتفاعات المباني السكنية في الخرطوم

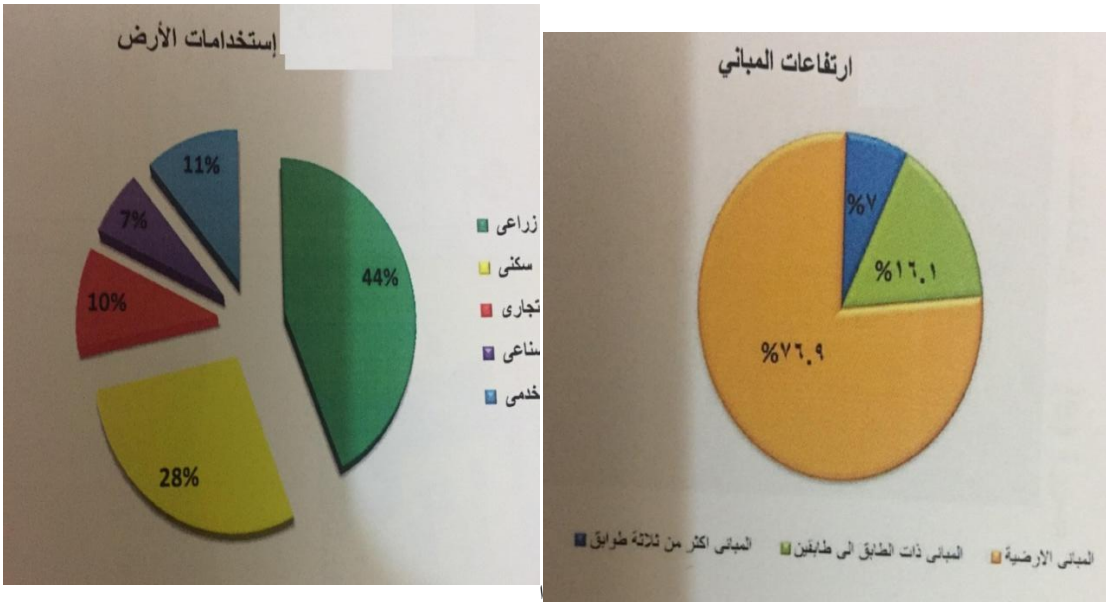

المصدر:(22)

يمكن النظر الي المشهد الحضري في الخرطوم كالرق الممسوح الذي يمثل مجموع كل المحو والكتابات المتكررة ولقراءة المسكن التقليدي يمكن رؤيته كثقافة تنقش نفسها في المدينة كمجموعة من المحو والاضافات والشذوذ والاسهاب على مرالزمن. وتظهر فكرة المشهد منخلال علاقاته الزمانية والفضائية لأنهعملية مستمرة من التطور او من الانحلال والاستبدال كما ذكر ساور [23] عليه لابد من القاء الضوء على المسكن التقليدي في الخرطوم تاريخيا من خلال ثلاثة فترات (التركية ،الحكم الثنائي، بعد الاستقلال) والتي كان لها الاثر الكبير في نمطه الحالي. ففي فترةالعهدالتركي اخذت الخرطوم النمط الريفي التقليدي المتوارث عبرالاجيال وعندمااصبحت عاصمة للبلاد ظهرت اساليب البناء المستوردة في المساكن ولم يتبع ذلك تنظيم او تخطيط مدروس للمساكن. اما في فترة المهدية فقد حدثت تحولات اسكانية كبيرة ابرزها بناءمدينة امدرمان التي اتخذها الخليفة عبد الله مقرا للحكم وشيد مساكن بأساليب البناء المتوارثة مستخدما المواد المحلية تفي حياة التقشف والزهد وكانت تحاكي المدن الاسلامية [24] وتميزت مساكن الاسر(البيت) بالفناء الكبير(الحوش) منحت للمهاجرين والانصارونسبه للخصائص الحضارية المشتركة اصبح سكن الاسرة الممتدة هو المميز للفرد السوداني.بعد

[23]- مرجع سابق (9)

[24]- الحويرص, محمد نجيب, 1996م:"تجربة الخرطوم الكبري في التخطيط العمراني" ,مؤتمر التخطيط العمراني والاثر البيئي والسكن العشوائي في الوطن العربي ، الخرطوم

ذلك حدد السوق والميدان لممارسة الاجتماعات وصلاة الاعيادوالتامين لعسكري وغيرهاثم قسم الاحياءالسكنية تحت قيادات اعوانه الذين صاروا زعماء الحي دينيا وامنياو سميت بأسمائهم لتكون ذات دلالة ثقافية وحضارية (حي ودنوباوي- ابروف.. الخ)ومثلت تلك الاحياء مشاهد سكنية تقليدية تميزت بالأزقة لضيقة والحيشان الواسعة ضمت اسرمتعددة (ممتدة) ([25]) مما خلق قوة اضافية للحياة الاجتماعية كما اخذالمسكن التقليدي الشكل الهيراركي التراتبي بمستوياته الثلاث المتمثل في مسكن الاسرة الواحدة والجيرة ثم المجاورة الكبيرة اوالحي وساد هذا النظام السكني في معظم مدن السودان الشكل (3).اما في بعد الاستقلال وخروج المستعمر سقوط قانون المناطق المقفولة انتظمت البلاد هجرة سكان الريف للمدن الكبرى وبرزت الخبرات التخطيطيةالمحلية التي استخدمت طرق تقليدية لتصنيف الاستخدام السكني وتم تطبيق نظام الدرجات السكنية وتحديد نوعية مواد البناء والسماح لأصحاب الدرجات الدنيا بناء مساكنهم في اطراف المدن بالمواد المتاحة وثم يتم دمجهم في النسيج الحضري وقد اتاح هذاالتصنيف للمهاجرين من الارياف الاتصال بالمدن بطريقة تسمح بالانتقال من اسلوب الحياة الريفية الى الحياة العصرية خاصة في السكن ([26]).الامر الذي ادى الى انتشار واسع للمسكن التقليدي في المشهد الحضري للمدينة .ولمعرفة تأثير المتغيرات والمستجدات الثقافية والحضارية (المكونات الحسية) على المسكن التقليدي (المكونات المادية) في الخطة والتصميم ومادة بنائه تم استطلاع عينه من سكان الخرطوم ، اتضح منها وجود متغيرات ثقافية حضارية عصرية نابعة من الانفتاح على العالم الخارجي نتيجةللهجرة وتعددوتطور وسائل الاعلام وشبكات الاتصالات مما ادى الي تغير بعض العادات والتقاليد السائدة في المجتمع التقليدي واستيراد اراء وثقافات اجنبية جديدة على الثقافة المحلية

[25]- مرجع سابق (18)

[26]- مرجع سابق (15)

الشكل(3)انموذج من انماط المساكن التقليدية في الخرطوم

المصدر: (22)

فضلا عن تمرد الشباب على الحياة التقليدية واعتبار العادات والتقاليد دعوة للتخلف عن ركب الحضارة والتطور العالمي وادى ضعف التمسك بالعادات والتقاليد الى تخلي افراد المجتمع التقليدي عن قدر كبير من الخصوصية وتحول المجتمع الى العيش الفردي (اسرة نووية) وتكوين اسرة منفصلة بدلا عن الجماعات (الاسرة الممتدةعرف بمفهوم العزلة الاجتماعية.

مماسبق يتضح تأثر شكل المسكن التقليدي بالجوانب الثقافية والحضارية والذي يعد من ابرز المكونات المادية لمشهد الخرطوم الحضري ويظهر ذلك جليا في الاتي:

- تباين وتغيير في اشكال واحجام المساكن التقليدية في المشهد في نفس الفترة مع بروزفارق في تقنيات ومواد البناء بين بناية واخرى مما يؤدي الى تشوية واضح في التناغم التصميمي للمساكن التقليدية فضلاعن وجود مساكن حديثة تحدث تغييرا في المكونات المادية العمرانية للمشهد فيخلق تنوعا معقدا في مشهد الخر طوم الحضري
- ظهورتعديلات واضافات على المسكن التقليدي يلجااليهاالسكان لمواكبة التطور مع اغفال المحددات التخطيطية الداخلية والخارجية للمبني كتعديل الواجهات اوتجزئة المسكن اعتمادا على ثقافات مختلفة غير محلية ننتج عنه فقدان الطابع المميز للمسكن التقليدي وعدم ملائمته للبيئة وفقدان الخصوصية خاصة في مشهد الاحياء القديمة

. فضلا عن وجود مساكن تقليدية غير مكتملة البناء نتيجة لعجز اصحابهااقتصاديا عن اكمال التحديث تشوه المشهد الحضري.

-

- وجود مساكن تقليدية متدهورة غالبا في مشهد وسط المدينة حيث يهجرهاالسكان الى اخرى افضل لأنها تفتقر للصيانة والخدمات
- تغيير استخدام الارض لبعض المساكن التقليدية كليا او جزئيا خاصة ذات الموقع المميز للتجارة والحرف افقدها الخصوصية فاثرعلى سياق البيئة الحضرية في المدينة.

مماسبق يتضح صعوبة تكامل المتغيرات والمستجدات العصرية الحسية (الثقافية والحضارية) للمسكن التقليدي مع المكونات المادية للمسكن (العمرانية) نتج عنه عدم تجانس الطرزالمعمارية للمساكن التقليدية على امتداد المشهد بسبب تنوعها وغياب طرازمعماري تقليدي مهيمن ومميزللمدينة حيث لم يبقى من ملامحه الا خطته ذات الطابق الارضي والجناح النسائي والرجالي الامر الذي قد يؤدي بمرورالزمن الى فقدان الوحدة بالقيم المشتركة بين المباني لتصبح المساكن التقليدية لاتمثل الهوية المحلية وتحاكي الطرزالاجنبية.لذلك يمكن اقترح بعض الرؤى بناءعلى استنتاجات الدراسة لترسيخ الهوية الثقافية والحضاريةالعمرانية في المشهد الحضري السوداني .

4-الاستنتاجات والرؤى المقترحة:

- المسكن التقليدي ليس منشاة هندسية مستقلة في فراغ اجتماعي بل هوخلية عمرانية نابعة من المجتمع نتيجة للممارسات الروتينية التي تعطي معنى للحياة اليومية في المكان والزمان ولها اهداف ثقافية واجتماعية اخرى غيرالماوي ويعرف محليا بعدة مسميات منها المسكن الشعبي والمحلي.
- يتباين نمط المسكن التقليدي في المدن النيلية عنه في مدن السافنا كما يتبع التوزيع المكاني داخل المدن احياء الدرجة الثالثة ومناطق اعادة التخطيط والمخططات السكنية الشعبية والاقتصادية لمحدودي الدخل.
- يأخذ المسكن التقليدي في المشهد الحضري بمستوياته الشكل الهيراركي التراتيبي ابتدأ بمسكن الاسرة الواحدة والجيرة ثم المجاورة الكبيرة .

- تأثرالمسكن التقليدي في المشهد الحضري بالقوة الحسية (عمق المعتقد الديني والارتباط الاسري والتكافل والانتماءالاجتماعي)وكذلك القوة المادية وتغيراحداهما ينعكس على المشهد.
- عدم تجانس الطرزالمعمارية التقليدية في المشهد الحضري وتنوع موادبنائهاا مع غياب طرازمعماري تقليدي مميزللمدينة حسب الصورة الذهنية المتعارف عليها قد يؤدي الى فقدان الوحدة بالقيم المشتركة والهوية الثقافية العمرانية المحلية التي لم يبقى من ملامحها الا المبنى ذوالطابق الأرضي الذي يحتوي على جزئين رجالي واخرنسائي من غير فصل واضح.
- تأثر المسكن التقليدي بالمتغيرات والمستجدات الثقافية والاجتماعية العصرية مما ادى الى تمرد الشباب على الحياة التقليدية وتحول المجتمع الى اسرة نووية بدلا عن الممتدة واستيراد ثقافات بناءاجنبية جديدة على الثقافة المحلية. نتيجة الانفتاح على العالم الخارجي فتغيرالمشهد الحضري.

رؤى ومقترحات:

- وضع ضوابط تقنن البناء السكني والاستفادة من العناصرالمعمارية التقليدية التي تحقق الغنى والمتعة البصرية في المشهد الحضري حتى لا تتلاشى الهوية العمرانية السودانية والمحافظة على الصورة الذهنية للمسكن التقليدي .
- التأكيد على المشاركة المجتمعية لسكان المدينة في صياغة المسكن التقليدي في المشهد الحضري وتفعيل مفهوم الهوية ثقافيا ومعماريا ليعبر سكان المجتمع المحلي عن آرائهم في مسكنهم
- الاستفادة من فكرة تناغم المسكن التقليدي مع البيئة الطبيعة والثقافية في تحقيق التنمية الحضرية المستدامة .

المراجع:

- احمد،حسن عبدالعزيز (2005) :**مدخل الى الجغرافيا الحضارية** ،الناشرمكتبة الرشد الرياض المملكة العربية السعودية
- العبادي ،عبدالله حامد العبادي(1974): **تخطيط المدن السودانية ،الخرطوم**
- النور ، عبد الحميد بله واخرون(2017) : **تطور المدن السودانية :مستوي التحضر في السودان وانعكاساته الاقتصادية والاجتماعية –(1955–2016)** مجلة السودان الجغرافيةالعدد1–يناير2017كلية علوم الجغرافيا والبيئية جامعة الخرطوم.
- الحويرص, محمد نجيب(1996م):"**تجربة الخرطوم الكبرى في التخطيط العمراني** ",مؤتمرالتخطيط العمراني والاثر البيئي والسكن العشوائي في الوطن العربي – قاعة الشارقة نوفمبر 1996م.
- الياس ،ايثار جوزيف(1989) : **اسس التجديد الحضري للنسيج التراثي ،اثر المشهد الحضري التراثي** ،ماجستير ،قسم الهندسة المعمارية جامعة التكنولوجية ،بغداد
- الخفاجي ،سرى فوزي(2007) : **العلاقات الشكلية للمشهد الحضري في مدينة بغداد، دراسة تحليلية للمجمعات السكانية** رسالة ماجستير قسم الهندسةالمعمارية الجامعة التكنولوجية بغداد
- المبارك ، عامر كاظم (1999) : **التماسك والتفكك في بيئة المشهد الحضري للمدينة المعاصرة** ماجستير ،مركز التخطيط الحضري والاقليمي بغداد
- ارناؤوط, ,رائد (2016) :"**قراءة نقديةفي العمارة العربية المعاصرة** "مجلة الثقافة الشعبية علمية فصلية متخصصة العدد 27 البحرين
- خربوطلي ، صلاح الدين (2004): **السياحة المستدامة** سلسلة الرضا للمعلومات 233 دمشق
- عوض الله،اسعد عبدالرحمن ،(2012): **نمط البيت السوداني في غرب وشرق** السودان –الموسوعة السودانية
- عوض,زحل الطيب,2008م: "**دراسة العوامل الاجتماعية والثقافية التي تشكل تركيبة الاسرة**" المؤتمر العلمي الثالث للعمارة – المساكن الحضرية في السودان , الخرطوم
- مايك، كرانغ (2005) : **الجغرافيا الثقافية –اهمية الجغرافيا الثقافيةفي تفسير الظواهر الانسانية**– ترجمة سعيد منتاق عا لم المعرفة– مطابع السياسة، الكويت

- محمد،عائشة ابراهيم (2017) : **انماط الكثافة العمرانية الراسية في خارطة الخرطوم الهيكلي (2008–2033وعلاقتها بالتحولات الاقتصادية والاجتماعية في مدينة الخرطوم** –مجلة السودان الجغرافيةالعدد 1– يناير2017–كلية علو الجغرافيا والبيئية جامعة الخرطوم
- ناصفة للاستشارات الهندسية (2012): **المخططات الإستراتيجية المحلية،لمحليات ولاية الخرطوم** ، الخرطوم
- الجهاز الاحصائي المركزي الخرطوم (2008)

- Abu sin ,M.E. and David, H.r.j.(eds.1991): "**The future of Sudan's capital Region a study in Development and change**, **kup**.," Khartoum.
- BANNAGA ,SHARAF ELDIN IBRAHIM .(eds.1994):**''Unauthorised and Squatter Settlemen in Khartoum''**,History, Magnitude and Treatment
- Kinoshita,Y,''**Atownscape evaluation system based on Kansei and colour harmony models Journal Systems**, **Man and Cybernetics** "2004 IEEE Inrernatiinal Conference,:2004 Volume:1.